سِلْسِلَةُ
أَهْلِ الأَثَرِ فِي مَمْلَكَةِ البَحْرَيْنِ

التَّأْصِيلُ والتَّجْدِيدُ

مُقَدِّمَةُ

سِلْسِلَةِ يَنَابِيعِ الأَنْهَارِ فِي فِقْهِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ والآثَارِ

اعْدَادُ:

أَهْلِ الأَثَرِ

فِي

مَمْلَكَةِ البَحْرَيْنِ

شِعَارُنَا: أَمْنٌ وَ أَمَانٌ فِي اَلْأَوطَانِ

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى كُلِّ مَا يُعْصِمُ

فِي الدُّنْيا مِنَ الْمَكَارِهِ وَالْمَخَاوِفِ

تَأْصِيلٌ نَادِرٌ وتَجْدِيدٌ بَاهِرٌ للإِمامِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

عَنِ الإِمَامِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (إِنَّمَا الدِّينُ بِالْآثَارِ!، إِنَّمَا الدِّينُ بِالْآثَارِ!، إِنَّمَا الدِّينُ بِالْآثَارِ).

أثرٌ صحيحٌ.

أخرجه البَيْهَقِيُّ في ((الْمَدْخَلِ إلى السُّنن الكُبرى)) (ج١ ص٢١٤)، والهَرَوِيُّ في ((ذَمِّ الكَلامِ)) (ج٢ ص٢٦٤)، وابنُ عَبْدِ البَرِّ في ((جامعِ بيانِ العِلْمِ)) (ج١ ص٧٨٢)، وأَبُو نُعَيْمٍ في ((حِلْيةِ الأَولياءِ)) (ج٦ ص٣٦٧) من طريقِ مُحَمَّدِ بنِ عبدالعزيز بنِ أَبِي رِزْمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ عبدَالله بنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ: فَذَكَرَهُ.

وهذا إسنادُهُ صحيحٌ.

● لِذَلِكَ إذا رَأَيْتَ عَبْداً يَطْعَنُ عَلَى الآثَارِ، وَيَرُدُّ الآثَارَ، وَلَا يَقْبَلُهَا؛ فَاعْلَمْ أَنَّه مُبْتَدِعٌ!، رَدِيءَ الْمَذْهَبِ[1]، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

قَالَ الإِمامُ البَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((شرح السُّنّةِ)) (ص٥١): (إذا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَى الآثَارِ، أَوْ يَرُدَّ الآثارَ، أَوْ يُرِيدُ غَيْرَ الآثارِ، فَاتَّهِمْهُ عَلَى الإِسْلَامِ، وَلَا تَشُكَّ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى مُبْتَدِعٌ). اهـ

---

(١) وانظر: ((شَرْحَ السُّنَّةِ)) للبَرْبَهَارِيِّ (ص٧٩)، و((الفُروع)) لابنِ مُفْلِحٍ (ج٢ ص١٤٩)، و((طبقات الحَنَابِلَةِ)) لابنِ أَبِي يَعْلَى (ج٣ ص٦٥).

● فَعَلَيكَ بأَهلِ الأَثرِ، فَإِنَّ الْبُرْهانَ دَائِمَاً لَهُمْ، وَالْحُقَّ أَبَدًا مَعَهُمْ، فَعَلَيكَ بالتَّسلِيمِ لَهُمْ، فَإِنْ لَمْ تَرْضَ فَأَنْتَ لَسْتَ مِنْهُمْ!.

قَالَ الإمامُ البَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((شرح السُّنّةِ)) (ص١٢٤): (فَاللهَ.. اللهَ فِي نَفْسِكَ، وَعَلَيكَ بالآثَارِ، وأَصْحابِ الأَثَرِ والتَّقْلِيدِ؛ فَإِنَّ الدِّيْنَ إِنَّمَا هُوَ التَّقْلِيدُ[1]، [يَعْنِي: لِلنَّبِيِّ ﷺ وأَصْحابِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِم]، وَمَنْ قَبْلَنَا لَمْ يَدَعُونَا فِي لَبْسٍ، فَقَلِّدْهُمْ وَاسْتَرِحْ، وَلَا تُجَاوِزِ الأَثَرِ، وَأَهْلَ الأَثَرِ). اهـ

وَقَالَ الإمامُ البَرْبَهَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((شرح السُّنّةِ)) (ص١٠٥): (وَعَلَيكَ بالآثَارِ، وَأَهْلِ الآثارِ، وَإِيَاهُمْ فَاسْأَلْ، وَمَعَهُمْ فَاجْلِسْ، وَمِنْهُمْ فَاقْتَبِسْ). اهـ

واللهُ وليّ التّوفيق

❁❁❁❁❁❁❁

(١) يُرِيدُ بِهِ تَقْلِيدَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ الإِتِّبَاعُ، لَا التّقليد الأعمى الْمَذْمُوم لآراءِ الرِّجَالِ، فتنبه.

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى كُلِّ مَا يُخْلِّصُ

فِي الأُخْرى مِنْ كُلِّ هَوْلٍ وَضِيقٍ

بدايَةٌ وَنِهَايَةٌ

للطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ

عُشْرُونَ عَاماً عَنْ مُرُورِ الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ الْعَلْمِيَّةِ الصَّحِيحَةِ

فِي مَمْلَكَةِ الْبَحْرِينِ

التَّوْفِيقُ عَزِيزُ الْمَنَالِ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا عُدْاون إلّا عَلَى الظّالِمِين، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلامُ عَلَى إمامِ الْمُتقين، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، وَعَلَى آلهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

أَمَا بَعْدُ،

إخوانُنا الْفُضلاءَ، وأخواتُنا الْفَاضِلَاتِ:

إِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ فِي وَاقِعِنَا الْمُعاصرَ الَّذِي نَعِيشُ فِيه مَعاً، وَنَظَرَ العبدُ يَمِيناً وَشِمالاً، وَجَدَ أَنّ أُنَاسَاً مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَدْ وُفِّقُوا فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، بَلْ وَفِي حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَسَارُوْا فِي طَرِيقِ التَّوْفِيقِ، وَالسَّدَادِ، وَالرَّشادِ الْمُوْصِل بإذنِ اللهِ تَعَالَى إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ(١)، اِنْطِلاقَاً مِنْ قَوْلِ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

---

(١) وَانْظُر: ((فَتْحَ الْقَدِيرِ)) للشَّوكانِيّ (ج٢ ص٣٨١)، و((مَحَاسِنَ التَّأْوِيل)) لِلْقَاسِمِيّ (ج٩ ص١٦٢)، و((تَفْسِيرَ القرآنِ)) لابنِ كَثِيرٍ (ج٤ ص٤٦٨)، و((رُوحَ الْمَعَانِي)) للآلوسِيّ (ج١٢ ص٤٣٧)، و((مَعَالِمَ التَّنْزِيل)) للبَغَوِيّ (ج٣ ص٣٢٧).

● فَتَأَمَّلْنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ كَثِيراً، فَوَجَدْنَا **أَنّ التَّوْفِيقَ** عَزِيزُ الْمَنَالِ، وَهُوَ مَطْلَبٌ سَامٍ، بَلْ هُوَ عِنْوَانُ سَعَادَةِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ.

● وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ، **وَلَا يُوفَّقُ لِهَذَا التَّوْفِيقِ** فِي الدِّينِ الإسلاميّ كُلِّهِ، **إلّا الْمُوَفَّقُونَ، وَهَذَا التَّوْفِيقُ** كُلُّهُ بَيْدِ اللهِ تَعَالَى، فَمَا أَفْلَحَ عَبْدٌ فِي الدِّينِ، وَنَجَا مِنَ الْفِتَنِ، إلّا بِتَوْفِيقِ اللهِ تَعَالَى، فَاللَّهُمَّ مُوَفِّقُ مَنْ يَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عبادِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران:٧٣-٧٤].

قَالَ الإمامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((الفَوائِدِ)) (ص٢٩٢): (فأسْبابُ **التَّوْفِيقِ** مِنْهُ، وَمِنْ فَضلِهِ، وَهُوَ الْخَالِقُ لهَذِهِ، وَهَذِه). اهـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]؛ أَيْ: مَا صُرْتُ مُوَفِّقاً إلّا بتَأْييدِ اللهِ سُبحانه وتَعَالَى.(١)

قَالَ أَبُو حَيَّان الْمُفْسر رَحِمَهُ اللهُ فِي ((البحرِ الْمُحيطِ)) (ج٥ ص٣٣٢): (قولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾؛ أَيْ: لِدُعَائِكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَتَرْكِ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ، أَوْ وَمَا تَوْفِيقِي لِأَنْ تَكُونَ أَفْعَالِي مُسَدَّدَةٌ مُوَافِقَةٌ لِرِضَا اللَّهِ تَعَالَى). اهـ

وَقَالَ الْمَرَاغِيُّ الْمُفسر رَحِمَهُ اللهُ فِي ((تَفسيرِهِ)) (ج١٢ ص٧٤): (قولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾؛ **التَّوْفِيقُ الْفَوْزُ**، وَالْفَلاَحُ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ، وسعيٍ حَسَنٍ، وحُصولُ ذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى كَسْبِ الْعَامِلِ، وَطلبِهِ مِنَ الطَّرِيقِ الْمَوصِّلِ إِلَيه، وَتَيْسيرِ الأَسبابِ الَّتِي يَسْهَلُ مَعَهَا الحُصولُ عَلَيه، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ، أَيْ: وَمَا

(١) وَانْظُر: ((فَتْحَ الْقَدِيرِ)) للشَّوكانِيّ (ج٢ ص٤٩٥).

تَوْفِيقِي لإصابةِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فِي كُلِّ مَا آتِى، وَمَا أَذَرُ، إلّا بِهدَايَّةِ اللهِ تَعَالَى وَمَعُونَتِهِ). اهـ

وَقَالَ القَاسِمِيُّ الْمُفسر رَحِمَهُ اللهُ فِي ((مَحاسنِ التَّأْوِيلِ)) (ج٩ ص١٦٢): (قولُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾؛ أَيْ: إصلاحِ نُفُوسِكُمْ بِالتَّزْكِيَةِ، والتَّهيئَةِ لِقَبُولِ الْحِكْمَةِ، ما دُمْتَ مُستطيعاً مُتَمَكِّناً مِنْهُ. ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلّا بِاللَّهِ﴾؛ أَيْ: وَمَا كَوْنِي مُوفَّقاً للإصْلاحِ؛ إلّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ وتأييدِهِ، وقولُهُ تَعَالَى: ﴿عَلَيه تَوَكَّلْتُ﴾؛ أَيْ: أَعْتَمِدُ، وقولُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِلَيه أُنِيبُ﴾؛ أَيْ: أَرْجِع فِي السَّراءِ وَالضَراءِ). اهـ

وَقَال الإمامُ السَّمعانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((تفسير القُرآن)) (ج٢ ص٤٥٢): (قولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا توفيقي إِلَّا بِاللَّه﴾؛ دَلِيلٌ على أَنَّ الطَّاعَةَ لَا يُؤْتى بهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللهِ، والتَّوفِيقُ مِنَ اللهِ؛ هُوَ التَّسْهِيلُ، والتَّيْسِيرُ، والمعُونةُ). اهـ

وَقَالَ الشَّيْخُ عبدُالرَّحمن السِّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((تيسيرِ الكريم الرَّحمن)) (ج٣ ص٤٥٠): (قولُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾؛ أَيْ: لَيْسَ لِي مِنَ الْمَقَاصِدِ، إلّا أَنْ تَصْلُحَ أَحوَالُكُمْ، وَتَسْتَقِيمَ مَنَافِعُكُمْ، وَلَيْسَ لِي مِنَ الْمَقَاصِدِ الْخَاصَّةِ لِي وَحْدِي، بشَيْءٍ بِحَسْبِ اسْتِطَاعَتِي.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا فِيه نَوْعُ تَزْكِيَةٍ لِلْنَّفسِ، دَفَعَ هَذَا بقولِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلّا بِاللَّهِ﴾؛ أَيْ: وَمَا يحصلُ لِي مِنَ التَّوْفِيقِ لِفَعلِ الْخَيْرِ، وَالْاِنْفِكاكِ عَنِ الشَّرِ إلّا بِاللهِ تَعَالَى، لَا بِحَوْلِي، وَلَا بِقُوَّتِي، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾؛ أَيْ: اِعْتَمَدَتُ فِي أُمُورِي، وَوَثَقْتُ فِي كِفَايتِهِ، ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾؛ فِي أَدَاءِ مَا أَمَرِني بِهِ، مِنَ أنواعِ الْعِبَادَاتِ، وَفِي هَذَا التَّقرُّبِ إِلَيه بِسَائِرِ أَفعَالِ الْخَيْرَاتِ.

وَبِهَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ: تَسْتَقِيمُ أَحوَالُ الْعَبْدِ، وَهُمَا الْاِسْتِعانَةُ بِرَبِّه، والإنابَةُ إِلَيه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣]). اهـ

● **وَالْمَعْنَى**: مَا أُرِيدُ فِيمَا آمُرُكُمْ بِهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْهُ، إِلَّا إِصْلَاحَكُمْ وَإِصْلَاحَ أَمْرِكُمْ مَا اسْتَطَعْتُ، قَدَرْتُ عَلَى إِصْلَاحِهِ لِئَلَّا يَنَالُكُمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عُقُوبَةً مُنَكِّلَةً بِسَبَبِ مَعْصِيَتِكُمْ للهِ تَعَالَى، وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَاللهُ تَعَالَى هُوَ الْمُعِينُ، وَالْمُوَفِّقُ عَلَى إصلاحِ الْعِبَادِ فِي الْبِلادِ[(١)]، وَاللهُ الْمُسْتَعَان.

● وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿تَوَكَّلْتُ﴾؛ إشارةٌ إِلَى مَحْضِ التَّوْحِيدِ، لَأَنَّ [تَوَكَّلْتَ] يُفِيدُ الْحَصْرِ، وَهُوَ أَنَّه لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلَى أَحَدٍ إِلّا عَلَى اللهِ تَعَالَى وَحْدَهُ... وَلَيْسَ التَّوْفِيقُ فِي إِصَابَةِ الْحَقِّ فِيمَا يُرِيدُ الْعَبْدُ إِلّا بِاللهِ تَعَالَى، وَهِدَايَتِهِ، وَعَوْنِهِ، وَالثَّبَاتِ عَلَى إخلاصِ الدَّعْوَةِ للهِ تَعَالَى[(٢)]، دُونَ أَنْ يخَشى الْعَبْدُ مِنْ قَوْمِهِ سُوءاً يُصِيبُهُ مِنْهُمْ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى حَافِظُهُ فِي الدُّنْيا مَا دَامَ قَدْ تَوَكَّلَ عَلَيهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ.

● **وَالتَّوْفِيقُ**؛ تَسْهِيلُ سَبِيلِ الْخَيْرِ، وَالطَّاعَةِ عَلَى الْعَبْدِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ؛ إِلّا اللهِ تَعَالَى، فَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

إذاً الإِصْلاحُ الرَّبانِي يَكُونُ بِالْعَدْلِ لَا بِالظُّلْمِ... وبالإحسانِ لَا بالإِساءَةِ... وَبِالْصّلاحِ لَا بِالْفَسَادِ... وَبِالاسْتِقامَةِ لَا بِالْاِنْحِرافِ... وَبِالْسُّنّةِ لَا بِالْبِدْعَةِ... وَبِالْتَّوْحِيدِ لَا بِالشِّرْكِ... وَبِالْطَّاعَةِ لَا بِالْمَعْصِيَةِ... وبالإخْلاصِ لَا بِالسُّمْعَةِ، وَحُبِّ الشُّهْرَةِ، وَالظُّهورِ والريّاسَةِ.

---

(١) وَانْظُر: ((جامع البيان)) للطَّبَرِيّ (ج٧ ص١٠٣)، و((التَّفسير الكبير)) للرَّازِيّ (ج١٨ ص٣٨)، و((أنوار التَّنزيل)) للبَيْضَاوِيّ (ج١ ص٤٦٧)، و((الجامع لأَحكام القرآن)) للقُرْطُبِيّ (ج٩ ص٩٠)، و((رُوح الْمَعاني)) للآلوسِيّ (ج١٢ ص٤٣٧)، و((لُبَابَ التَّأويل)) للخَازِنِ (ج٣ ص٣٢٧)، و((إرشاد العَقْلِ السَّليم)) لأبي السُّعُود (ج٤ ص٢٣٤).

(٢) فَلَا يَكُونُ الإصلاحُ بِكثْرَةِ الْجَمْعِيَّاتِ أَوْ الْجَمَاعَاتِ، أَوْ بِكثْرَةِ الْمَالِ أَوْ الأَتْبَاعِ، أَوْ بِكثْرَةِ الْمُحَاضَرَاتِ أَوْ الأنشطةِ، أَوْ بِالسَّيْطَرَةِ عَلَى الْمَنَاصِبِ أَوْ الْقُوَّةِ، أَوْ بِالْعَبْقَرِيَّةِ فِي السِّيَاسَةِ الْغَرْبِيَّةِ، أَوْ بِالْقصَصِ، أَوْ بِالْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.
وَانْظُر: ((إرشاد العَقْلِ السَّليم إلى مزايا القُرآن)) لأَبِي السُّعُود (ج٤ ص٢٣٤).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [الإسراء:٨٠].

● إِنَّهَا آياتٌ تَهُزُّ قلبَ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ هَزًّا، تَجْعَلَهُ يُفْكِرَ فِي حالِهِ، وَكَلاَمِهِ، وَعَمَلِهِ، وَمَدْخَلِهِ، وَمَخْرَجِهِ، هَلْ هُوَ سَائِرٌ عَلَى طَرِيقِ التَّوْفِيقِ فِي الدِّينِ؛ أَمْ لَا؟!.

فَاللَّهُمّ مِنْكَ التَّيْسير!.

● وَلَمْ يُفْكِرْ بِذَلِكَ إلّا السَّلَفِيُّونَ الْحَقِيقِيُّونَ الَّذِينَ دَعَوْا إِلَى اللهِ تَعَالَى بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، والآثارِ... وَابْتَعَدُوا عَنِ الآثامِ، وَالْمُغْرِيّاتِ فِي حَيَّاتِهِمْ الدُّنيا... وَفَّقَهُمْ الْبَارِي سُبْحَانَهُ بِتَوْفِيقِهِ، فَشَقُّوا الطُّرُقَ السَّدِيدَةَ، يَحْمِلُهُمْ فِي ذلك حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ، وَسُنّتِهِ، وأيامِهِ... فَعَاشُوا عَلَى أَبْوابِهَا تَحْتَ ظِلِّهَا... وَنَالُوا شَرَفَ صُحْبَةِ سُنَّتِهِ ﷺ... وَصَدَقُوا فِي الدَّعْوَةِ إِلَيهَا، حَتَّى أَوَصَلُوهَا إِلَى الدَّانِي وَالْقَاصِي... لَا يَخَافُونَ فِي اللهِ تَعَالَى لَوْمَةَ لِأَئِمٍ فِي نَشْرِ السُّنَّةِ بِالْحِكْمةِ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسْنَةِ... وَلَمْ يُبْدِّلُوا تَبْدِيلاً فِيهَا... لِأَنَّهُمْ سَارُوْا عَلَى مَا سَارَ عَلَيه مُحَمَّدٌ ﷺ، وَاتَّبعُوا سُنَّتَهُ ظَاهِراً وَباطِنَاً؛ فِي تَوْحِيدِهِ وَاعْتِقادِهِ... وَصَلاَتِهِ وَصِيَامِهِ... وَحَجِّهِ وَزَكَاتِهِ... وَبَيْعِهِ وشِرَائِهِ... وَذِكْرِهِ وآدابِهِ... وَمُعَاملتِهِ وأَخْلاقِهِ... وَحِلِّه وَتِرْحَالِهِ... وَدَعْوَتِهِ وَجِهَادِهِ... وَقِرَاءَتِهِ للقُرآنِ وَتَجْوِيدِهِ وَحِفْظِهِ وَدِرَاسَتِهِ... وَفِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ حَيَاتِهِ ﷺ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

قَالَ الشَّيْخُ عبدُالرَّحمنِ السِّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((تيسيرِ الكريم الرَّحمن)) (ج٣ ص٤٥٠): (وَهَذِهِ الأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ، إِنَّمَا يَسْلِكُهَا وَيُوفَّقُ لَهَا مِنْ كَانَ يَرْجُو اللهِ، وَالْيَوْمَ

الآخرِ ، فَإِنَّ مَا مَعَه مِنَ الإيمانِ، وَخَوْفِ اللهِ، وَرَجَاءِ ثَوابِهِ، وَخَوْفِ عِقابِهِ، يُحِثُّهُ عَلَى التَّأْسِي بِالرَّسُولِ ﷺ). اهـ

فَاللَّهُمَّ وَفِّقنَا لِصَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ!.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣].

• **وَأَفْضَلُ التَّوْفِيق** أَنْ يُوَفِّقُكَ اللهُ تَعَالَى إِلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَنُصْرَةِ دِينِهِ، وَتَتَبُّعِ سُنَّتِهِ ﷺ، وَالْعَمَلِ بِهَا، وَالرِّضى بآثارِ صَحابَتِهِ الْكرامِ اِعْتِقادَاً وَدَعْوَةً، وَمَنْهَجَاً وَشَرِيعَةً، وَالله وَلِيُّ التَّوْفِيق.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٩-١٠].

قَالَ الإمامُ الأَزْهَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((مُعْجم اللُّغة)) (ج٤ ص٣٩٢٧): (لا يَتوفَّقُ عبدٌ حَتَّى يوفِّقُهُ اللهُ، وأنّ فلاناً مُوفَّقٌ: رَشِيدٌ). اهـ

والتَّوفِيقُ: هو السَّدَادُ، والرَّشادُ، والإلهامُ، وإصابةُ الحقّ.(١)

فعَنِ الإَمامِ الشَّافِعِيّ قَالَ: (وَالنَّاسُ طَبَقَاتٌ فِي الْعِلْمِ، مَوْقِعُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِقَدْرِ دَرَجَاتِهِمْ فِيهِ، فَحَقٌّ عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ بُلُوغُ غَايَةِ جَهْدِهِمْ فِي الاسْتِكْثَارِ مِنْ عِلْمِهِ، وَالصَّبْرِ عَلَى كُلِّ عَارِضٍ دُونَ طَلَبِهِ، وَإِخْلاصِ النِّيَّةِ لِلَّهِ فِي إِدْرَاكِ عِلْمِهِ نَصًّا وَاسْتِنْبَاطًا، وَالرَّغْبَةِ إِلَى اللَّهِ فِي الْعَوْنِ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لا يُدْرَكُ خَيْرٌ إِلا بِعَوْنِهِ).

أثرٌ صحيحٌ

---

(١) وَانْظُر: ((القاموس الْمُحيط)) للفَيْرُوز آبادِيّ (ص٩٤٢)، و((تاج العَروس)) للزَّبِيدِيّ (ج٧ ص٩٠)، و((لسان العرب)) لابنِ مَنْظُور (ج٦ ص٤٨٨٤)، و((الْمِصْباح الْمُنير)) للفَيُّوميّ (ج٢ ص٩١٩).

أخرجه الخطيبُ الْبَغْدادِيُّ في ((الفَقِيهِ والْمُتَفَقِّهِ)) (ج٢ ص٢٠٤) من طريقِ صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ التَّمِيمِيِّ نا مُحَمَّدُ بْنُ حَمْدَانَ الطَّرَائِفِيُّ نا الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: قَالَ الشَّافِعِيُّ به.

وهذا سندُهُ صحيحٌ.

وذكَرهُ ابنُ جماعةَ في ((تذكرةِ السَّامع)) (ص٤٨).

● فَظَهَرَتْ ثَمَرَاتُ دَعْوَتِهم فِي الْبَلَدِ فِي الدَّاخِلِ، وَالْخَارِجِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ، كَيْفَ لَا وَهُمْ فَوَاتِحُ الْخَيْرِ كُلِّهِ، فِي أَوَّلِهِ وآخِرِهِ، وَفِي ظاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

فَتَأَمَّلُوا... وَتَفَكَّرُوا.

قَالَ الإمامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((مَدَارِجِ السَّالكين)) (ج٢ ص١٠٦٦):

(وَأَنَّهُ لَا مُوَفِّقَ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ وَأَعَانَهُ، وَلَا مَخْذُولَ إِلَّا مَنْ خَذَلَهُ، وَتَخَلَّى عَنْهُ). اهـ

وَقَالَ الإمامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((مَدَارِجِ السَّالكين)) (ج٢ ص١٠٧١):

(وَلَا سَبِيلَ إِلَى طَاعَتِهِ إِلَّا بِمَعُونَتِهِ، وَلَا وُصُولَ إِلَى مَرْضَاتِهِ إِلَّا **بِتَوْفِيقِهِ**، فَمَوَارِدُ الْأُمُورِ كُلِّهَا مِنْهُ، وَمَصَادِرُهَا إِلَيْهِ، **وَأَزِمَّةُ التَّوْفِيقِ** جَمِيعُهَا بِيَدَيْهِ، فَلَا مُسْتَعَانَ لِلْعِبَادِ إِلَّا بِهِ، وَلَا مُتَّكَلَ إِلَّا عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ شُعَيْبٌ عَلَيه السلام خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]). اهـ

وَقَالَ الإمامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((مَدَارِجِ السَّالكين)) (ج٢ ص١٠٧٥):

(**وَالتَّوْفِيقُ**: إِرَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَفْعَلَ بِعَبْدِهِ مَا يُصْلِحُ بِهِ الْعَبْدَ، بِأَنْ يَجْعَلَهُ قَادِرًا

عَلَى فِعْلِ مَا يُرْضِيهِ، مُرِيدًا لَهُ، مُحِبًّا لَهُ، مُؤْثِرًا لَهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَيُبَغِّضَ إِلَيْهِ مَا يُسْخِطُهُ، وَيُكَرِّهَهُ لَهُ). اهـ

وَقَالَ العَلَّامةُ الفَيْرُوز آبادِيّ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((القَاموس الْمُحيط)) (ص٩٤٢): (وَوَفَّقَهُ اللهُ تَوْفيقاً، ولا يَتَوَفَّقُ عبدٌ إلا بِتَوْفِيقِه). اهـ

ويقالُ: وَفَّقَهُ اللَّهُ سُبْحَانَه لِلْخَيْرِ ؛ أَلْهَمَهُ، وَهُوَ مِنْ التَّوْفِيقِ... وَإِنَّ فَلانَاً مُوَفَّقٌ؛ أَيْ: رَشِيدٌ، وَيُقَالُ: وَفِقَهُ؛ أَيْ: فَهِمَهُ، واسْتَوْفَقْتُ اللهَ تَعَالَى؛ أَيْ: سَأَلْتُهُ التَّوْفِيقَ.(١)

فَالتَّوْفِيقُ: هُوَ إعانَةٌ خَاصَّةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ الطَّائِعِ(٢)، بِهَا يَضْعُفُ أَثَرُ النَّفْسِ، وَالشَّيْطَانِ، وَتَقْوَى الرَّغْبَةُ فِي الطَّاعَةِ، وَإِلّا فَالْعَبْدُ لَوْ وُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ لغَلَبَتْهُ نَفْسُهُ الأَمارةُ بِالسُّوءِ وَالشَّيْطَانِ.

وَالْخِذْلاَنُ: يُقَابِلُ التَّوْفِيقُ، وَهُوَ سَلْبُ الْعَبْدُ الإعانةَ الَّتِي تُقَوِّيهِ عَلَى نَفْسِهِ وَالشَّيْطَانِ، فَيُتَرَكُ وَشَأْنُهُ، وَنَفْسُهُ الأمارةُ بِالسُّوءِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ الْخِذْلاَنِ.(٣)

وَالْخِذْلاَنُ مِنَ اللهِ تَعَالَى؛ هُوَ تَرْكُ اللهِ تَعَالَى نُصْرَةَ الْعَبْدِ وإهْلاكِهِ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ.(٤)

وَالَّذِي يُسْلَبُ مِنْه التَّوْفِيق؛ فَلاَبدَّ أَنْ يُعَوَّضَ بَدَلُهُ الْخِذْلاَنَ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ.

والخَاذِلُ: ضِدُّ النَّاصِرِ.

يُقَالُ: خَذَلَهُ، وَخَذَلَ عَنْه يَخْذُلُهُ خَذْلاً وَخِذْلَاناً: تَرْكَ نُصْرَتَهُ، وَعَوْنَهُ.

---

(١) وَانْظُر: ((لِسَانَ العَرَبِ)) لابنِ مَنْظُورٍ (ج٨ ص٤٨٨٤).

(٢) فَهَذَا تَوْفِيقٌ، وإعانةٌ خَاصَّةٌ يَمْنَحُهَا اللهُ تَعَالَى من يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

(٣) فَإِذاً مَنْ يَشَأْ اللهُ تَعَالَى يُضَلِّلْهُ؛ يَعْنِي: يَسْلُبُ عَنْه التَّوْفِيقَ، فَيَخْذُلُهُ، فينتجُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَلَبَ عَنْه إعانتَهُ، وَسَلَبَ عَنْه تَسْدِيدَهُ، وَسَلَبَ عَنْه أَسبَابَ الْخَيْرِ، وَلَمْ يُغْلِقْ عَلَيه أَبوَّابَ الشَّرِّ، فَهِي مُتَتَابِعَةٌ عَلَيه، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

(٤) وَانْظُر: ((مُعْجَم تَهْذِيب اللُّغَة)) للأَزْهَرِيّ (ج١ ص٩٩٨).

والتَّخْذِيلُ: حَمْلُ الرَّجُلِ عَلَى خِذْلاَنِ صَاحِبِهِ، وتثبيطُهُ عَنْ نُصْرَتِهِ.

وَخِذْلاَنُ اللهِ تَعَالَى الْعَبْدَ: أَلَّا يَعْصِمَهُ مِنَ الشُّبَهِ، أَوْ الْمَعَاصِي، أَوْ الْبِدَعِ، أَوِ الشِّرْكِ، أَوِ الْكفرِ فَيَقَعَ فِي ذَلِكَ، فَالْخِذْلاَنَ: تَرْكُ الْمَعُونَةِ.

ويقال: وَخذَّلَ عَنْه أَصحابَهُ تخذيلاً؛ أَيْ: حَمَلَهُمْ عَلَى خِذْلاَنِهِ.

وتَخَاذَلُوا؛ أَيْ خَذَلَ بَعْضُهُم بَعْضًا. وَفِي الْحَدِيثِ: الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ لَا يَخْذُلُهُ؛ أَيْ: لا يترك نُصرتَهُ، ومَعُونتَهُ.

والخَذْلُ: تَرْكُ الإِعانةِ وَالنُّصْرَةِ.

وَرَجُلٌ خُذَلَةٌ؛ أَيْ: خَاذِلٌ لَا يَزَالُ يَخْذُلُ.

والخَاذِلُ الْمُنْهَزِمُ، **وتَخَاذَل القومُ**: تَدَابَروا. (١)

قَالَ الإمامُ أبُو إسحاقٍ الحربيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((غَرِيبِ الحَدِيثِ)) (ج٣ ص٩٧٤): (وَالْخَذلُ: ضِدُّ النُّصْرَةِ، خَذَلَ يَخْذُلُ خِذْلَاناً وَخَذْلاً، وَرَجُلٌ مَخْذُولٌ: تُرِكَ وَحْدَهُ). اهـ

●فَخِذْلاَنُ اللهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ الْمَخْذُولِ!؛ أَلَّا يَعْصِمَهُ مِنْ الْبِدعِ، أَوْ الْمَعَاصِي، أَوِ الشُّبَهِ فَيَقَعُ فِيهَا، لِأَنَّه غَيْرُ مَنْصُورٍ مِنْ اللهِ تَعَالَى، فَإِذا كَانَ كَذَلِكَ؛ فَلاَبدَّ أن يَقَعَ فِي السَّيِّئَاتِ، وَالشُّبْهَاتِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانِ.

قَالَ الخليلُ اللُّغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((العَيْنِ)) (ج١ ص٤٧٠): (وَخِذْلاَنُ اللهِ لِلْعَبْدِ: أَلّا يَعْصِمَهُ مِنْ السُّوءِ). اهـ

وقَالَ فضيلةُ الشّيخ صالح بنُ فَوْزان الفَوْزان حفظه الله: (وقوله: ((**بِتَوْفِيقِ اللهِ**))؛ هَذَا تَسْلِيمٌ للهِ ﷻ، وَتَضَرُّعٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَتَبَرُّؤٌ مِنْ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، فالإنسانُ لَا

(١) وَانْظُر: ((لسان العرب)) لابنِ مَنْظُورٍ (ج٢ ص١١١٨)، و((النِّهاية في غريب الحديث)) لابنِ لأثَيرٍ (ج٢ ص٢٢٧)، ((القاموس الْمُحيط)) للفَيْرُوز آبادِيّ (ص١٠٠٥)، و((مُختار الصّحاح)) للرَّازِيّ (ص٧٢)، و((مُعجم مقاييس اللغة)) لابنِ فَارِسٍ (ج٢ ص١٦٥).

يُزْكِي نَفْسَهُ، وَإِنَّمَا يَقُولُ: بِتَوْفِيقِ اللهِ، بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، بِحَوْلِ اللهِ، هَذَا أَدبُ الْعُلَمَاءِ رحمَهُمْ اللهُ). اهـ[١]

وقَالَ الإمامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((مَدَارج السّالكين)) (ج٢ ص١٠٦٣ و١٠٧٢): (وَقَدْ أَجْمَعَ الْعَارِفُونَ عَلَى **أَنّ كُلَّ خَيْرٍ، فَأَصلُهُ بِتَوْفِيقِ اللهِ لِلْعَبْدِ، وَكُلَّ شَرٍّ؛ فَأَصلُهُ خِذْلاَنُهُ لِعَبْدِهِ**، وَأَجْمَعُوا أَنّ التَّوْفِيقَ أَنْ لَا يَكِلَكَ اللهُ تَعَالَى إِلَى نَفْسِكَ، وَأَنّ الْخِذْلاَنَ هُوَ أَنْ يُخَلِّيَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ.

وَالتَّوْفِيقُ بَيْدِ اللهِ، فَمَفَاتِحُهُ: الدُّعَاءُ، وَالْاِفْتِقَارُ، وَصدقُ اللَجأِ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ إِلَيه، فَمَتَى أُعْطِيَ الْعَبْدَ هَذَا المفتاحَ، فَقَدْ أَرَادَ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ، وَمَتَى أَضَلَّهُ عَنْ الْمِفْتَاحِ، بَقِيَ بَابُ الْخَيْرِ مُرتجّاً دونَهُ؛ يَعْنِي : مُغْلَقاً).[٢] اهـ بتصرف

● وَالتَّوْفِيقُ كلُّهُ بَيْدِ اللهِ تَعَالَى، فَمَنْ يَسَّرَ الله عَلَيه الْهُدَى اِهْتَدَى، وَمَنْ لَمْ يُيْسِرْهُ عَلَيه لَمْ يُتَيَسَّرْ لَهُ ذَلِكَ ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠].

فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ، قَالَ ﷺ: ((لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ... الحديث)).[٣]

---

(١) انْظُر: ((التَّعليقات المختصرة على العَقيدةِ الطَّحاويةِ)) له (ص٣٢).

(٢) وذكر ذلك ابنُ القَيِّم أيضاً في كتابِه ((الفَوائد)) (ص٢٥٥).

(٣) **حديثٌ صحيحٌ**.

أخرجه التِّرمِذِيُّ في ((سُنَنه)) (ج٤ ص٣٦٢)، وابنُ مَاجَه في ((سُننه)) (ج٥ ص٤٥٩)، وأحمدُ في ((الْمُسْند)) (ج٥ ص٢٤٥)، والطَّبرانِيُّ في ((الْمُعْجم الكبير)) (ج٢٠ ص١٢٧)، والبَيْهَقِيُّ في ((السُّنن الكبرى)) (ج٩ ص٢٠).

وإسنادُهُ صحيحٌ.

قَالَ الحافظُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((جامع العُلوم والحِكَم) (ص١٣٧): (قَوْلُهُ ﷺ: (وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ)؛ إِشَارَةٌ إِلَى **أَنَّ التَّوْفِيقَ** كُلَّهُ بِيَدِ اللَّهِ ﷻ، فَمَنْ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْهُدَى اهْتَدَى، وَمَنْ لَمْ يُيَسِّرْهُ عَلَيْهِ، لَمْ يُيَسَّرْ لَهُ ذَلِكَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠].

● فَأَيُّ: مَنْزِلَةٍ... وَأَيُّ: تَوْفِيقٍ... وَأَيُّ فَضْلٍ هَذَا أَنْ يُوَفِقَكَ رَبُّكَ لإعلاءِ كَلِمَتِهِ... وَنُصْرَةِ دِينِهِ، وَتَتَبعِ مَرْضَاتِهِ... وَبِقَدْرِ مَا تُقَدِّمُ، وَتَبْذُلُ لِدِينِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ... وَيُوفِقُكَ وَيَحْفظُكَ، وَهُوَ خَيرُ الْحافِظِين... وَالْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

فَتَأَمَّلْ فِي هَذَا الأُفُقِ الْبَعِيدِ!.

● **إِنَّ مِنْ أَعَظْمِ التَّوْفِيقِ** فِي الدُّنْيا أَنْ يَضَعَ اللهُ تَعَالَى لَكَ الْقَبولَ فِي الْأَرْضِ عِنْدَ أُمَّةِ الْإِجَابَةِ الَّتِي اِسْتَجَابَتْ للهِ تَعَالَى، وَرَسُولَهِ ﷺ.

● **وَالْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**: مَعَنَاهُ التَّوْفِيقَ لِمَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَيَرْضاهُ مِنَ الأَقْوالِ والأَعْمالِ، أَنْ تَعِيشَ الْحَيَاةُ الطِّيبَةُ، حَيَاةُ السُّعداءِ، عَابِداً حَامِداً، شَاكِراً مُحْسِناً، دَاعِياً لله تَعَالَى، إِنَّهُ الْقَبُولُ، وَالتَّوْفِيقُ لَا يُحَدُّ بِحَدٍّ، وَلَا وَصَفٍ؛ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ الْمُوَفَّقُ... **فَالتَّوْفِيقُ عَزِيزُ الْمَنَالِ**.

اللَّهُمّ وَفِّق إِلَى طَرِيقِ التَّوْفِيقِ!.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦].

فَهنِيئاً لِلْمُوَفِّقِينَ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ!.

● إِذَنْ فَادْعُ رَبَّكَ لَيْلاً وَنَهَاراً، وَتَحَرَّى أَوْقَاتَ الإجابةِ، وَالْأَمَاكِنَ الْفَاضِلَةَ الْمُبَارَكَةَ كَالحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَاسْجُدْ وَتَضَرَّع، وَمَرِّغ جَبِينَكَ، وَانْكَسِرَ بَيْنَ يَدي رَبِّكَ؛ وَقُل: يا رَبِّ أَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ!.

فَاللَّهُمّ لَا تُطِيبُ الدُّنْيا إلّا بِذكْرِكَ، وَلَا تُطيبُ الآخرة إلّا بِعَفْوِكَ!.

●وَيا حَسْرَتَى عَلَى مَنْ ضَلَّ الطَرِيقَ وَخُذِلَ... وَكَانَ مِنْ أَعْوانِ الشَّيْطَانِ... يَهْدِمُ وَلَا يَبْنِي... وَيَنْشِرُ الْمَعَاصِي وَالْبِدَعَ... وَيَحْمِيهَا وَيُدَافِعُ عَنْهَا، وَيَدْعَمها وَيَدْعُو لَهَا... وَهُوَ يَظِنُّ أَنَّه يُحْسِنُ صُنعاً!، وَهَذَا هُوَ طَرِيقُ الْخِذْلاَنِ!.(١)

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٤].

فَهِيَ شُبهاتٌ وَشَهْواتٌ!... ظُلماتٌ بعضُها فَوْقَ بَعْضٍ!؟

●**فَتَوْفِيقُ اللهِ تَعَالَى** لِلْعَبْدِ؛ لَا يكونُ بِالْغِشِّ فِي الأَعْمالِ الْخَيْرِيَّةِ!، وَلَا بِالدَّعْوَةِ الْحِزْبِيَّةِ!، وَلَا بِالدُّرُوسِ الآكادِيمِيّةِ!، ولا بالقَصص والأحاديثِ الضَّعِيفةِ!، وَلَا بِالْكُتُبِ الْفِكْرِيَّةِ!، وَلَا بِالسِّياسَةِ الْغَرْبِيَّةِ!، وَلَا بِفِقْهِ الْمَذَاهِبِ التَّقْلِيدِيَّةِ!، وَلَا بالآراءِ التَّعَصُّبِيَّةِ!، وَلَا بِالسِّياحَةِ فِي الْأَرْضِ!، وَلَا بِالْعُلُومِ الثَّقافِيَّةِ!، وَلَا بِالْحُروبِ الْجَاهِلِيَّةِ!(٢)، وَإِنَّمَا بِفضلِ اللهِ تَعَالَى يُؤتِيهِ مَنْ يشَاءُ... فَتَأَمَّل هَذَا الْفَضْل!.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

---

(١) وَهَذَا هُوَ الْجَهْلُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي حَذَّرَ مِنْه الشَّارِعُ الْحَكِيمُ؛ وَهُوَ أَنْ يَبْقى الْعَبْدُ بُدونِ فَائِدَةٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٤].

فتأَمَّل أيُّها الْمُغَفّل الحِزبِيّ!.

(٢) فأيُّ: تَوْفيقٍ فِي هذه الجهالاتِ الْمُهلكاتِ: ﴿وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [هود:١٢٢]؛ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾[الإسراء:٨٤].

فَاللَّهُمّ مُوَفِّق مِنْ شَاءَ مِنْ عِبادِكَ.

فَانْظُرْ... وَتَأَمَّل!... الرَّفِيقُ قَبْلَ الطَّرِيقِ!.

● **فَحَوَاجِزُ التَّوْفِيقِ**، وموانعُهُ ستَّة أشياءٍ، والله المستعان.

وَقَدْ قِيلَ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلفَتَى

فَأَوَّلُ مَا يَقْضِي عَلَيْهِ اِجْتِهَادُهُ

● وَهَذَا يَجْرِي فِيمَنْ يُعِينُ أَهْلَ الْبِدَعِ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْعِلْمِ عَلَى بِدَعِهم، ومآربهم الْفَاسِدَة... فَمَنْ أَرْضَى اللهَ تَعَالَى بِسَخَطِ النَّاسِ؛ كَفَاهُ اللهُ تَعَالَى مُؤَنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ أَرْضى النَّاسَ بِسخْطِ اللهِ تَعَالَى؛ لَمْ يُغْنُوا عَنْه مِنْ اللهِ تَعَالَى شيئاً، بَلْ عَادَ حامدُهُ مِنَ النَّاسِ ذَامّاً.(١)

● وَهَذَا أَصلٌ عَظِيمٌ؛ فينبغي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَهُ، وَهَذَا يَحْصُلُ لَكُلِّ أَحَدٍ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ مَدَنِيٌّ بِالطَّبْعِ، لاَبدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يعيشَ مَعَ النَّاسِ، وَالنَّاسُ لَهُمْ إراداتٌ، وَتَصَوُّرَاتٌ، وأهواءٌ يُطَلِّبُونَ مِنْه أَنْ يُوَافِقَهُمْ عَلَيهَا، وَإِنْ لَمْ يُوَافِقَهُمْ آذُوهُ وَعَذَّبُوهُ، وَإِنَّ وَافَقَهُمْ؛ حَصَلَ لَهُ الأذى وَالْعذَابُ تَارَةً مِنْهُمْ، وَتَارَةً مِنْ غَيْرِهِمْ، فَعَلَيه بِالصَّبرِ عَلَى رِضَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالثَّبَاتِ عَلَى دِينِهِ؛ رَضِيَ مَنْ رَضَى، وَسَخِطَ مِنْ سَخط، وَالله نَاصِرُ عَبْدَهُ، وَلَوْ بَعْدَ حِين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢].

---

(١) وانظر: ((الفوائد)) لابنِ القَيِّم (ص٢٩٥ و٢٩٦).

قَالَ الإمامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((الفوائد)) (ص٢٩٦): (فَمَنْ هَدَاهُ اللهُ وَأَرْشَدَهُ اِمْتَنَعَ مِنْ فِعْلِ الْمُحَرَّمِ، وصَبَرَ عَلَى أَذَاهُم وَعَدَاوَتِهم، ثَمَّ تَكونُ الْعَاقِبَةُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ؛ كَمَا جَرَى لِلْرُّسُلِ وأتباعِهم مَعَ مَنْ آذاهُم، وَعَادَاهُمْ). اهـ

وَعَنْ شَقِيقِ بنِ إبْرَاهِيمَ البَلْخِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: (جَعَلَ اللهُ أَهْلَ طَاعَتِهِ أَحْيَاءً فِي مَمَاتِهِمْ ، وَأَهْلَ الْمَعَاصِي أَمْوَاتًا فِي حَيَاتِهِمْ).[١]

وَعَنِ الإمَامِ الشّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (أَصْلُ العَمَلِ التَّوْفِيقُ، وَثَمَرَتُهُ النُّجْحُ، وَغَايةُ كُلِّ أمرٍ الصِّدْقِ).[٢]

وَعَنْ أَبِي الْقَاسِمِ النَّصْرَابَاذِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (أَصْلُ التَّصَوُّفِ مُلَازَمَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَرْكُ الْأَهْوَاءِ والبِدَعِ... وَمَا ضَلَّ أَحَدٌ فِي هَذَا الطَّرِيقِ؛ إِلَّا بِفَسَادِ الِابْتِدَاءِ؛ فَإِنَّ فَسَادَ الِابْتِدَاءِ يُؤثِرُ فِي الِانْتِهَاءِ).[٣]

●وهذا يدلُّ على أنّ مَنْ صحّتْ دعوتُهُ في الأُولى، والابتداءِ صحّتْ دعوتُهُ في الآخرةِ، والانْتهاءِ؛ ومَنْ فَسَدت دعوتُهُ في الأُولى، والابتداءِ، فَسَدتْ دعوتُهُ في الآخرةِ، والانْتهاءِ.

---

(١) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه أبَوُ عَبْدِالرَّحمنِ السُّلَمِيّ فِي ((طبقات الصُّوفيّة)) (ص٦٦).

وإسنادُهُ حسنٌ.

(٢) **أثرٌ صحيحٌ.**

أخرجه ابنُ عَساكر في ((تاريخ دِمَشْق)) (ج٥١ ص٤٠٨)، وابنُ حَمَكَان في ((الفوائد والأخبار)) (ج١٠ ص٤١- السِّير).

وإسنادُهُ صحيحٌ.

وذكَرَهُ الذّهَبِيُّ في ((السِّيَرِ)) (ج١٠ ص٤١).

(٣) **أثرٌ حسنٌ.**

أخرجه أبَوُ عَبْدِالرَّحمنِ السُّلَمِيّ فِي ((طبقات الصُّوفيّة)) (ص٤٨٨).

وإسنادُهُ حسنٌ.

وَعَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الدّارَانِيّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (كُلُّ عَمَلٍ لَيْسَ لَهُ ثَوَابٌ فِي الدُّنْيا؛ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ فِي الآخِرَةِ).[١]

● وَعَلَى قَدْرِ نِيَّةِ الْعَبْدِ، وَهَّمتِهِ، وَمُرَادِهِ، وَرَغْبَتِهِ فِي ذَلِكَ؛ يَكُونُ تَوْفِيقُهُ سُبْحَانَهُ، وإعانتُهُ، فَالْمَعُونَةُ مِنْ اللهِ تَعَالَى تَنْزِلُ عَلَى الْعبادِ عَلَى قَدْرِ هِمَمِهِم، وثبَاتِهِم، وَرَغْبَتِهِم وَرَهْبتِهِم، وَالْخِذْلاَنُ يَنْزِلُ عَلَيهِم عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ.

● فَاللهُ سُبْحَانَهُ - أَحكمُ الْحَاكِمِينَ وَأَعْلَمُ الْعَالَمِيْنَ - **يَضَعُ التَّوْفِيقَ** فِي مَوَاضِعِهِ اللَّائِقَةِ بِهِ، **وَالْخِذْلاَنَ** فِي مَوَاضِعِهِ اللَّائِقَةَ بِهِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.[٢]

● والتَّوفِيقُ فعلُ ما تتفقُ معه الطّاعةُ، وإذا لم تَتّفقْ معه الطّاعةُ لم يُسَمَّ تَوْفِيقاً، ولهذا قالوا: ((إِنَّهُ لَا يُحْسِنُ الفِعْلَ))؛ ولا يكونُ التَّوفِيق إلّا لِمَا حَسُنَ من الأَفْعالِ، يُقال: ((وُفِّقَ فلانٌ للإِنْصَافِ)).

فَعَنْ سَهْلِ بنِ عَبْدِاللهِ التُّسْتَرِيّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: (الْأَعْمَالُ بالتَّوْفِيقِ؛ والتَّوفِيقُ مِنَ اللهِ، وَمِفْتَاحُهَا الدُّعَاءُ والتّضَرُّعُ).[٣]

إذاً لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَقِيمَ حَيَاةُ الْعِبَادِ، وَلَا تَنْتَظِمُ النّظامُ الصَّحِيحُ؛ إلّا بِتَوْفِيقِ اللهِ تَعَالَى، وَهَذَا يَلْزَمُ ضَرُورَةُ حَاجةِ الْعِبَادِ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ، فَحَاجَتُهُمْ إِلَيه تَفُوقُ حَاجَتِهِمْ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ.

---

(١) **أثرٌ حسنٌ.**
أخرجه أَبَوُ عَبْدِالرَّحمنِ السُّلَمِيّ فِي ((طبقات الصُّوفيّة)) (ص٧٨).
وإسنادُهُ حسنٌ.

(٢) وانظر: ((الفوائد)) لابنِ القَيِّمِ (ص٢١٣).

(٣) **أثرٌ حسنٌ.**
أخرجه أَبَوُ عَبْدِالرَّحمنِ السُّلَمِيّ فِي ((طبقات الصُّوفيَّة)) (ص٢١١).
وإسنادُهُ حسنٌ.

●وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَسْتَقِيمَ حَيَاةُ الْعِبَادِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ بِدُونِ الدِّينِ الْحَقِّ؛ إِذْ هُوَ الْمِيزَانُ الصَّادِقُ، وَالْمِعْيَارُ الدَّقيقُ، لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَالْعَدْلِ فِي أُمُورِ الْعِبَادِ كُلِّهَا فِي الْبِلَادِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ فِي ((الفتاوى)) (ج١٩ ص٩٣):

(قَاعِدَةٌ نَافِعَةٌ فِي وُجُوبِ الِاعْتِصَامِ بِالرِّسَالَةِ، وَبَيَانِ أَنَّ السَّعَادَةَ، وَالْهُدَى فِي مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَنَّ الضَّلَالَ، وَالشَّقَاءَ فِي مُخَالَفَتِهِ، وَأَنَّ كُلَّ خَيْرٍ فِي الْوُجُودِ، إمَّا عَامٌّ، وَإِمَّا خَاصٌّ، فَمَنْشَأَهُ مِنْ جِهَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَنَّ كُلَّ شَرٍّ فِي الْعَالَمِ مُخْتَصٌّ بِالْعَبْدِ فَسَبَبُهُ مُخَالَفَةُ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ الْجَهْلُ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَأَنَّ سَعَادَةَ الْعِبَادِ فِي مَعَاشِهِمْ، وَمُعَادِهِمْ بِاتِّبَاعِ الرِّسَالَةِ، وَالرِّسَالَةُ ضَرُورِيَّةٌ لِلْعِبَادِ، لَابُدَّ لَهُمْ مِنْهَا، وَحَاجَتُهُمْ إلَيْهَا فَوْقَ حَاجَتِهِمْ إلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالرِّسَالَةُ رُوحُ الْعَالَمِ وَنُورُهُ وَحَيَاتُهُ، فَأَيُّ صَلَاحٍ لِلْعَالَمِ إذَا عَدِمَ الرُّوحَ وَالْحَيَاةَ وَالنُّورَ، وَالدُّنْيَا مُظْلِمَةٌ مَلْعُونَةٌ؛ إلَّا مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ شَمْسُ الرِّسَالَةِ، وَكَذَلِكَ الْعَبْدُ مَا لَمْ تُشْرِقْ فِي قَلْبِهِ شَمْسُ الرِّسَالَةِ، وَيَنَالُهُ مِنْ حَيَاتِهَا، وَرُوحِهَا فَهُوَ فِي ظُلْمَةٍ؛ وَهُوَ مِنْ الْأَمْوَاتِ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢]، فَهَذَا وَصْفُ الْمُؤْمِنِ كَانَ مَيِّتًا فِي ظُلْمَةِ الْجَهْلِ، فَأَحْيَاهُ اللَّهُ بِرُوحِ الرِّسَالَةِ، وَنُورِ الْإِيمَانِ، وَجَعَلَ لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَمَيِّتُ الْقَلْبِ فِي الظُّلُمَاتِ، وَسَمَّى اللَّهَ تَعَالَى رِسَالَتَهُ رُوحًا، وَالرُّوحُ إذَا عَدِمَ فَقَدْ فُقِدَتْ الْحَيَاةُ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢]. اهـ

●وَاللهُ سُبْحَانَه وَتَعَالَى جَعَلَ الرُّسْلَ عَلَيهِمْ السَّلاَمُ وسائِطَ بَيْنَهُ جَلَّ وَعلا، وَبَيْنَ عِبَادِهِ، فِي إيصالِ الدِّينِ إِلَيهِمْ؛ لِيَعْرُفُوا مَا يَنفعُهُمْ وَمَا يَضُرُّهُمْ؛ وليُصْلِحُوا بِهِ مَعَاشَهُمْ

وَمعَادَهُمْ، فَالرُّسْل بُعِثُوا جَمِيعاً بِالدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ، الَّذِي يَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَيُعَرِّفُهُمْ الطَّرِيقِ الْمَوْصِلِ إِلَيه عَزَّ وَجَلِ.(١)

قَالَ الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي ((زَاد الْمَعَاد)) (ج١ ص٧٩): (اضْطِّرَارُ الْعِبَادِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ إِلَى مَعْرِفَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَتَصْدِيقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ؛ فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى السَّعَادَةِ وَالْفَلَاحِ، لَا فِي الدُّنْيَا، وَلَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الطَّيِّبِ، وَالْخَبِيثِ عَلَى التَّفْصِيلِ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِمْ، وَلَا يُنَالُ رِضَا اللَّهِ الْبَتَّةَ إِلَّا عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَالطَّيِّبُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَالْأَقْوَالِ، وَالْأَخْلَاقِ لَيْسَ إِلَّا هَدْيَهُمْ وَمَا جَاءُوا بِهِ، فَهُمُ الْمِيزَانُ الرَّاجِحُ الَّذِي عَلَى أَقْوَالِهِمْ، وَأَعْمَالِهِمْ، وَأَخْلَاقِهِمْ تُوزَنُ الْأَقْوَالُ، وَالْأَخْلَاقُ، وَالْأَعْمَالُ، وَبِمُتَابَعَتِهِمْ يَتَمَيَّزُ أَهْلُ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ، فَالضَّرُورَةُ إِلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْ ضَرُورَةِ الْبَدَنِ إِلَى رُوحِهِ، وَالْعَيْنِ إِلَى نُورِهَا، وَالرُّوحِ إِلَى حَيَاتِهَا، فَأَيُّ ضَرُورَةٍ، وَحَاجَةٍ فُرِضَتْ، فَضَرُورَةُ الْعَبْدِ، وَحَاجَتُهُ إِلَى الرُّسُلِ فَوْقَهَا بِكَثِيرٍ...

وَإِذَا كَانَتْ سَعَادَةُ الْعَبْدِ فِي الدَّارَيْنِ مُعَلَّقَةً بِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَأَحَبَّ نَجَاتَهَا وَسَعَادَتَهَا؛ أَنْ يَعْرِفَ مِنْ هَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ، وَشَأْنِهِ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْجَاهِلِينَ بِهِ، وَيَدْخُلُ بِهِ فِي عِدَادِ أَتْبَاعِهِ، وَشِيعَتِهِ، وَحِزْبِهِ، وَالنَّاسُ فِي هَذَا بَيْنَ مُسْتَقِلٍّ، وَمُسْتَكْثِرٍ، وَمَحْرُومٍ(٢)، وَالْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ). اهـ

---

(١) وانظر: ((مِفْتَاح دارِ السَّعَادةِ)) لابنِ القَيِّم (ج٢ ص١١٦ و١١٧).

(٢) لأنَّ الإسلامَ يَعُودُ غريباً كَمَا بَدَأَ؛ أيْ: غربة الإسلامِ وأهلِهِ، فلا يَغْتم الغريبُ بِقلةِ مَنْ يَعْرفُ السُّنّة وأهلِها، ولا يضيقُ صدرُهُ بذلك، ولا يكونُ فِي شكٍّ من دينِ الإسلامِ.

وانظر: ((الفَتَاوَى)) لابنِ تَيْمِيَّةَ (ج١٨ ص٢٩٦). ومن هنا يأتي دور التأصيل، وتجديد مفاهيم الناس.

●ومِمَّا سَبَقَ تَتّضِحُ حاجَةُ العِبَادِ إلى الدِّينِ، وَضَرورتُهم إلى الرُّسُلِ عليهم السَّلامُ، ومَا جاؤُوا بِهِ عَنِ اللهِ تَعَالَى، ومَنْ عَقَلَ ذَلِكَ وَجَبَ عليه الْمُسَارَعةُ إلى التَّمسُّكِ بِهَدْيِ الرَّسُولِ ﷺ، والعَمَلِ بِمَا جَاءَ بِهِ؛ بُحسْنِ إخْلَاصٍ، وَصِدْقِ اتِّباعٍ على عَقيدةٍ صَحيحةٍ، ومَنْهجٍ سَليمٍ، وِفْقِ مَا كانَ عليهِ الرَّسُولُ ﷺ، وأصَحابُهُ الكِرَامُ؛ ففي ذَلِكَ سَعادَةُ الدُّنيا، وفَوْزُ الآخِرَةِ، نسألُ اللهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ وتَوْفِيقِهِ.

●ومِنْ هُنَا تَأْتِي أَهميّةُ تَجْليةِ مَفْهُومِ التّجدِيدِ[1] وَضَوابطِهِ وَثَمرتِهِ، ومَفْهُومِ التّأْصِيلِ وضَوابطِهِ وثَمرتِهِ تَحْتَ ظِلِّ التّوْفِيقِ الْمُثْمر الَّذي يَسهمُ في صَلاحِ الأُمّةِ، وتَجْديدِ مَفْهُومِها للدِّينِ وتَأْصِيلها، وتَقْويمِهَا في بُلدانِ الْمُسْلِمينَ.[2]

●فَسَيْراً عَلَى مَنْهَجِ أَهلِ الْحَديثِ فِي ((التّجدِيدِ والتّأْصِيلِ))؛ نَحْوِ إخراجِ سِلْسِلَةٍ عِلْمِيَّةٍ شَامِلَةٍ فِي الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ تَجْمع مَا تَفَرَّقَ مِنَ الأَحكامِ الشّرعِيَّةِ مِنْ كُتُبِ أَهلِ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ، فإنَّا نُقْدِّمَ الْيَوْمَ لإخوانِنا وأَخواتِنا مِنْ أُمّةِ الْإِجَابَةِ مُحِبّي السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ هَذِهِ السِّلْسلةُ الْمُبَارَكَةُ – إنْ شَاءَ اللَّهُ –، وَالَّتِي تَكْمُنُ أَهميتهَا فِي أَنَّهَا جَمَعَتْ بَيْنَ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ مَعَاً، وَتَكْمُنُ أَهميتهَا أيضاً فِي حُسْنِ تَرْتيبِهَا، وَقُوَّةِ أَدَلّتِهَا، وَسُهولَةِ فَهْمِهَا، وَيُسْرِ قِرَاءتِهَا، وَالْعَمَلِ عَلَى تَطْبِيقِهَا، وَالدَّعْوَةِ لِنَشْرِهَا.

---

(١) لابُدَّ أَنْ يكُونَ التَّجديدُ عَلَى مِنْهَجِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، سَواءٌ كَانَ التَّجديدُ الْكُلِّيّ، أَوْ التَّجديدُ الْجُزْئِيّ، لَأَنَّ التّجديدَ يَتَجَزَّأُ، كَمَا أَنْ الْإِجْتِهَادَ فِي الدِّينِ يَتَجَزَّأُ.

وَكَذَلِكَ لابُدَّ أَنْ يكُونَ الْمُجَدِّدُ مِنْ أُمَّةِ الْإِجَابَةِ، ((الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ)) السَّالِمَةَ مِنْ الْبِدْعِ الْمُحْدِثَةِ، وَالْمَعَاصِي الْمُهْلِكَةِ.

وَلِهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُعدَّ مُجَدِّداً مَنْ وَقَع فِي الْبِدْعِ وَالْمَعَاصِي؛ كـ((بِدَعِ الْمُرْجِئَةِ، وَبِدَعِ الإخوانيّةِ، وَبِدَعِ التُّرَاثِيَّةِ، وَبِدَعِ القُطبيَّةِ، وَبِدَعِ السُّرورِيَّةِ، وَبِدَعِ الثُّوريّةِ، وَبِدَعِ الصُّوفِيَّةِ ، وَبِدَعِ الأشعريّةِ، وَبِدَعِ الْخَارِجِيَّةِ))، وَكُلُّ مِنِ انْحَرَفَ عَنْ مَنْهَجِ أَهلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لأَنَّه اجْتَهَدَ فِي نُصْرَةِ، وَتَجْدِيدِ مَذْهبِهِ الْبَاطِلِ، فَلَا يَكن مِنَ الْمُجَدِّدِين للإسلام.

وانظر: ((عَوْن الْمَعْبُود)) للعظيم آبادي (ج٤ ص١٨٠).

(٢) وَكَذَلِكَ أَتّبَاعُ الْمُجَدِّدِين، لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ تَجْدِيدِ مَفَاهِيمِ النَّاسِ لِلدِّينِ، فَافْهَمْ لِهَذَا.

●ولا يَفُوتَنَا فِي هذا التّقدِّيمِ الْمُبارِكِ أنْ نَشْكُرَ كَلَّ مِنْ ساعَدَنَا فِي إخْراجِ هذهِ السِّلسلةِ الْمُباركةِ عَلَى هذا الوَجْهِ الْمُشْرِقِ، ونَخصُّ بالشُّكْرِ لِشَيخِنا الفَاضَلِ الْمُحدِّثِ فَوزيِّ بنِ عَبْدِالله بنِ مُحَمّدٍ الْحُمَيْدِيّ الأَثَرِيّ حَفِظَهُ اللهُ وَرَعَاهُ؛ على مَا بَذَلَهُ مِنْ جُهْدٍ كَبيرٍ مُبارِكٍ فِي نَشْرِ الدَّعْوةِ العِلميّةِ الْمَنهجيّةِ، وفي مُراجعتِهِ لهذهِ السِّلسلةِ الأَثريّةِ، وتَصْويبِهَا، والتّعليقِ عليها، وتصْحِيحِهَا، فجزى اللهُ تعالى الجميع عَنَّا خَيْرُ الجزاء.

فاللهُ تعالى نَسأل أنْ ينفَعَ بِهَا الأُمَّة الإسلاميّة، وأنْ يتمَّهَا على خَيْرٍ؛ إنَّه سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

وما تَوْفِيقُنَا إلّا باللهِ، عَلَيْهِ توكَّلْنَا، وإليه أَنَبْنَا، وإليهِ الْمَصِيرُ.

هذا ما انْتَهَى إليهِ القَلَمُ الأَثَرِيُّ بتَوْفِيقِ رَبِّنَا الحَكِيمِ العَلِيمِ.

والله يحفظكم ويَرْعاكم.

مع تحيات

أهلِ الأَثَرِ فِي مملكةِ البحرينِ